جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية/ قسم اللّغة والأدب العربي/ وحدة أدب شعبي مغاربي
السنة الثالثة أدب / أ. ريـــلـــي

المحاضرة الأولى: الأدب الشعبي (المفهوم والمصطلح)

تمهيد: الأدب الشعبي هو كل فن قولي تمّ تأليفه وأداؤه وتعلّمه وتوارثه وانتشاره عن طريق المشافهة لا التدوين، وقد عبّرت العامة من خلاله على عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم وأساطيرهم ومعتقداتهم آمالهم وأمنياتهم، أفراحهم وأتراحهم، وقد اختلف الدّارسون والباحثون حول تعريف هذا الأدب ووضع الحدود له، فما المقصود بالأدب الشعبي؟

1. **إشكالية تحديد مفهوم الأدب الشعبي:** اختلف الباحثون والمهتمون بالفولكلور في تعريف مصطلح الأدب الشعبي وتحديد صفاته ولغته، ومن أهم هذه التعريفات نذكر ما يلي:

أ. **التعريف الأول:** وهو المتأثر بآراء الفولكلوريين الذين يرون« أن الأدب الشعبي لأية أمة من الأمم هو أدب عاميتها التقليدي، الشفاهي، مجهول المؤلف، المتوارث جيلا عن جيل»[1]. ولعل الناظر في هذا التعريف يرى عدم اعترافه بأدب العامية الحديث، الذي أذيع ة والأدب وقرئ مكتوبا في بعض وسائل النشر الحديثة كالإذاعة والسينما والمسرح ، لأنه لا يتوافر فيه ركنا تجهيل المؤلف والتوارث التقليدي، وفي اعتقادنا أن شرط مجهولية المؤلف في تعريف الأدب الشعبي ليس معيارا دقيقا، إذ الحال لم يكن كذلك دائما في هذا النوع من الأدب« ذلك أننا نجد عددا كبيرا من الأدباء الشعبيين يذكرون أسماءهم في آخر القصيدة، ويذكرون تاريخ نظمها »[2].

كما أن صفة المجهولية ليست خاصة بالأدب الشعبي، فقط بل نجدها حتى في الأدب الرسمي المدوّن، وهذا ما أكّده سوكولوف في كتابه الفولكلور قائلاً:« لقد أصبح الإبداع الشخصي الخلاق - مع بداية العصر الرأسمالي - يُنسب إلى مجموع الشعب ضمانا لحياة مؤلفيه وحماية أسمائهم، وفي العصر الإقطاعي كان مؤلفو الآداب المدونة، وكذا

أصحاب الأعمال الفنية في ميدان فنون الحفر GRAFIC ARTS (العمارة، النحت، التصوير) لا يميلون في الغالب إلى نسبة أعمالهم إلى شخوصهم »[3].

وكذا اشتراط معيار الرواية الشفوية في تنقل هذا الأدب بين النّاس ليست ميزة لصيقة بالأدب الشعبي دون الأدب الرسمي« فالرواية قد أسهمت بدور كبير في نقل وإيصال التراث العربي الرسمي »[4] كالأدب الجاهلي، وشعر المعلقات، بل حتى القرآن الكريم، والحديث النبوي كان يُروى شفويا إلى أن دُوّن في العصور اللاحقة.

ب. **التعريف الثاني:** استند هذا التعريف على معيار اللّغة، أو وسيلة التعبير كصفة جوهرية في التمييز بين الأدب الشعبي وغيره، وهو ما يذهب إليه السامرائي في قوله إنّه:« الأدب الذّي يُروى ويُكتب أو يُطبع باللهجة العامية، سواء عُرف قائله أو كان مجهولا، متوارثا عن الجيل السابق، أو أنّه من صُنع قوم معاصرين »[5]، وقد أنكر كلّ من الدكتور عبد الحميد يونس، والدكتور أحمد مرسي اعتبار اللّغة عاملا أساسيا للتفرقة بين الأدب الشعبي والأدب العامي والأدب الفصيح.

ج. **التعريف الثالث:** وقد اهتم هذا التعريف بمضمون الأدب الشعبي، المعبّر عن حياة المجتمع ونفسيته تطلعاته، وآماله واهتماماته تعبيرا صادقا ومؤثرا، يساعد على كشف حقائق الحياة، بصرف النظر عن لغته سواء كانت عامية أم فصحى، معروف المؤلف أو لم يُعرف، وهو ما يُؤكده الدكتور أحمد رشدي صالح في قوله:« هو الأدب المعبّر عن ذاتية الشعب المستهدف تقدمه الحضاري، الراسم لمصاحه، يستوي فيه أدب الفصحى، وأدب العامية وأدب الرواية الشفاهية، وأدب المطبعة »[6].

وقد اقترح الباحث أحمد علي مرسي تعريفين جديدين للأدب الشعبي يراهما أفضل من تلك التعريفات السابقة، وهما على التوالي[7]:

.**التعريف الأول:**« الأدب الشعبي هو أسلوب التعبير الفني المأثور عن الفكر والعادات والتقاليد الجمعية، والذّي يتوسل بالكلمة ».

.**التعريف الثاني:**« الأدب الشعبي هو الإبداع الجمعي المأثور الذّي يتوسل الكلمة ».

وفي هذين التعريفين يركز على صفة الوجدان الجمعي، والتداول عن طريق الكتابة والمشافهة.

وقدّم الدكتور عبد الحميد يونس - أيضاً- في كتابه معجم الفولكلور تعريفا جامعا مانعا للأدب الشعبي حيث يقول:« الأدب الشعبي مصطلح جديد يدل على التعبير المتوسل بالكلمة، وما يصاحبها من حركة وإشارة وإيقاع، تحقيقا لوجدان الجماعة في بيئة جغرافية معينة أو مرحلة محدودة من التاريخ،(...) ويتسم بكلّ ما تتسم به المأثورات الشعبية من العراقة والتلقائية الظاهرة، وغلبة العُرف، ووجود المضامين الثقافية إلى جانب المرونة في التطور، والجهل بمؤلف النص في معظم الأحيان »[8].

2. **تعريف الأدب العامي:** ونقصد به« أدب اللهجات أو أدب الأقاليم الشفوي، بمعنى أدب الحياة اليومية لجميع متمثليه في البيئة المحدودة ومتطلباتها وظروفها، وهو سريع التطور والتغير والتجاوب مع كل مقتضيات العصر(بالنسبة لأصحابه)، ويصعب وضع معايير للغته»[9].

3. **الفرق بين الأدب العامي والأدب الشعبي:** ويمكن تلخيص تلك الفروق فيما يلي:

الأدب العامي	الأدب الشعبي
1. يستعمل المعاني الشائعة والأفكار السطحية.	1. لا يخلو من الاقباس الفنية والموهبة الحساسة.
2. يستعمل اللهجة العامية لا ترقى إلى التعبير عن الفكر.	2. يستعمل اللهجة العامية ويصيغها صياغة فنية راقية.
3. أسلوبه رديء لا يفرقه عن الكلام العادي الذّي يتداوله النّاس سوى الوزن والقافية إن كان شعرا والسّجع إن كان نثرا، وألفاظه لا إيحاء فيها وليست منتقاة.	3. أسلوبه رفيع يراعي فيه اختيار الألفاظ الموحية، ذات الجرس الموسيقي العذب، ويسلك في تركيبها سلوكا هو أقرب إلى السلوك الفني.
4. يتوسل التعبير بالكلمة والإشارة والحركة والإيقاع.	4. يتوسل التعبير بالكلمة والإشارة والحركة والإيقاع.
5. يتناول الأدب العامي موضوعات الساعة.	5. يتناول قضايا إنسانية عامة.
6. أدب إقليمي ضيق، معروف القائل.	6. يعبّر عن التراث الفكري والثقافي لأمة من الأمم عاداتها تقاليدها، أحلامها وآمالها، وهو أدب مجهول المؤلف **نابع من روح الجماعة.**
7. يتوقف الأدب العامي على فن الغناء.	7. يتوقف الأدب الشعبي على فن الأساطير والملاحم، والقصص والخرافات، والأمثال، والنكت، والأغاني، والألغاز والنوادر، والبكائيات.
8. يستخدم الأدب العامي اللّهجة المحلية التي تحررت من قواعد الإعراب والصرف.	8. يستخدم الأدب الشعبي لغة قريبة من الفصحى.

8. يتحول الأدب العامي إلى أدب شعبي.	9. يتحول الأدب الشعبي إلى الأدب العامي.

4. خصائص الأدب الشعبي:

أ. **العراقة:** الأدب الشعبي عريق عراقة الإنسان على سطح الأرض، فقد استطاع الدارسون من خلاله معرفة حياة المجتمعات القديمة، وأنماط حياتها، وعوائدها، ومعتقداتها، وعباداتها، وعلومها، ومعارفها، وفنونها، وخرافاتها بدون زيف ولا مبالغة.

إن انعدام التقييد والكتابة قد تسبب في ضياع المرحلة البكر من هذا الأدب، وهو ما يذهب إليه سير جيمس فريزر في كتابه الغصن الذهبي« إنّ الآداب الشعبية في عراقتها تؤاخي السّحر الذّي كان والأسطورة كُلّا واحداً، فكان السّحر يؤدى بلغة أسطورية؛ أي أدبية ثم ما لبثت طقوسه إن انفصلت عن الأساطير، بحيث أصبحنا نلتمس معرفتها من الأساطير الموجودة بين أيدينا »[10].

فالأدب الشعبي أدب موغل في القِدم، نلتمس من خلال أشكاله المختلفة التي وصلتنا عن طريق الرّواية الشفوية، من أساطير وملاحم وقصص والأمثال ونكت...إلخ، والنتاج الفكري المعبّر عن مواقف الإنسان البدائي وطريقة تفكيره ورؤيته للأمور، وهذا ما يؤكده محمد المرزوقي في قوله:« فالآداب الشعبية لعراقتها تحفظ لنا ذخيرة وافية نستطيع بدراستها أن نعرف الحياة الذهنية والروحية لأسلافنا الأقدمين، وكذلك نستطيع أن نضبط بواسطتها التاريخ الاجتماعي لهذه المراحل الأولى من المجتمع البشري »[11].

ب. **الواقعيـــة:** يـرتبط الأدب الشـعبي ارتباطـا وثيقـا بمشـاكل الشـعب وقضـاياه وآمالـه، وهـو يعبّـر عـن هـذه المشـاكل لا يلتـزم بـالواقع كمـا هـو بـل يسـعى إلـى تزينـه بالخيـال والعجيـب واللامعقـول« فالإبـداع الشـعبي يحلـم بواقـع هـادئ، ومـريح ومنسـجم وبالتّـالي

فهو في بحث دائم عن هذا الواقع، وبالأحرى ينتهي تحويل الواقع المرير إلى واقع مفرح ومثالي، وأمام صعوبة تحقيق هذه الأمنية في الواقع يلجأ إلى تحقيقها في مخيلته، وذلك باللّجوء إلى العوالم السحرية، والرّموز العجيبة والغريبة، فهو دائما يسعى إلى تغيير هذا الواقع، إنّ الرموز والعناصر السحرية هي ترجمة لكبت واقع اجتماعي يهدف من وراءها التعبير عن رفضه وسخطه لهذا الواقع التعس، وبالتّالي فإنّ لجوء الإبداع الشعبي إلى هذه العناصر ما هي في حقيقة الأمر إلاّ حوار أبدي بين الواقع واللاواقع من أجل خلق انسجام روحي للإنسان داخل المجتمع »[12].

جـ. **الجماعية:** الأدب الشعبي خطاب شفهي يتميز بالرّوح الجماعية، فهو إنتاج مجهول المؤلف، ينتقل من جيل الى جيل عن طريق المشافهة، وبهذا يصبح هذا الأدب إنتاجاً جماعياً شفاهياً، بعدما يتعرض للإضافة والحذف من طرف الجماعة الشعبية، فمبدع هذا النوع من الأدب ينسلخ عن ذاتيته الفردية ويذوب في روح الجماعة« بحيث يتألم بآلام الجماعة ويفرح بأفراحها، ويحلم بأحلامها؛ فهو ملتصق التصاقاً عضوياً بالجماعة التي يتكلّم لغتها ويرسم خطابها »[13]، فبمجرد أن ينتهي من خلق نصه الإبداعي تلتقطه آذان الأفراد، فيرسمه كل فرد بخصوصيته الفردية، بعد تعريضه للتبديل والتغيير وإعادة التأليف.

د. **الشفاهية:** وهي تمثل مرحلة من مراحل المجتمع الإنساني الذي كانت فيه الشفاهية القناة الوحيدة للتواصل بين النّاس، ونقل معارفهم، وحفظ ثقافتهم، والسماح لها بالظهور والانتشار.

لقد وظّف المبدع الشعبي الكلمة المنطوقة لنقل انشغالاته واهتماماته لغيره من الناس، مُتّخِذا من الصوت والسّمع وسيلة للإرسال والتلقي. وكان على الجمهور المُستمع الاعتماد على ذاكرتهم في تلقي النّص الشعبي، وحفظه ثم تداوله، ومن ثم نعتقد أنه كان بين أفراد المجتمع الشعبي من كان يمتلك ذاكرة قوية، وحِدّة في الحافظة بسبب اعتمادهم الكلي عليها، وهذا ما وضّحه أحمد علي مرسي في حديثه عن كيفية انتقال الأدب الشعبي في

قوله:« الانتقال الشفاهي أحد هذه الطرق فالأفراد يرددون ما يحفظونه، وما تعيه ذاكرتهم، يُعيدون ترديده حتى يصبح جزءا من عاداتهم المتبعة وتقاليدهم المقررة »[14].

هـ. **التداخل مع الفنون الأخرى:** الأدب الشعبي وعاء ثقافي يحتوي على اللّغة والدّين، والسّحر والعادات والمعتقدات والتاريخ..إلخ، فهو يتقاطع مع مجموعة من العلوم الاجتماعية والإنسانية عكس الأدب الرّسمي الذّي يميل إلى التخصص والاستقلالية، وهذا ما يؤكده الدكتور سعيدي محمد إذ يقول:« إنّ الأدب الشعبي يأخذ من كلّ المعارف، يوظفها وينتعش منها، ويتقاطعها داخل فضائه يكتسب حركة معرفية نشيطة، الأمر الذّي جعله مادة حية لكلّ الدراسات الألسنية، الأدبية الاجتماعية أي كلّ هذه المعارف اهتمت بالأدب الشعبي لأن كلّ واحدة وجدت في ثناياها على الأقل عنصرا مناسبا لاتجاهها المعرفي»[15]، فإذا أراد أي باحث مثلا تفسير بعض المعتقدات الشعبية في مجتمع من المجتمعات، كان عليه أن يبحث عن أصولها في بقايا الدّيانات الموغلة في القدم التي كان يعتقد بها البدائيون من جهة، والتزود بمجموعة من العلوم الأخرى في مقدمتها علم الاجتماع، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم النفس الاجتماعي.

5. **وظائف الأدب الشعبي:** للأدب الشعبي وظائف متعددة نذكر منها ما يلي:

أ. **الوظيفة التربوية التعليمية:** غرس الأدب الشعبي في نفوس الأفراد الحِكَم والمُثُل والسجايا الحميدة التي تؤدي إلى النجاح، والعيش حياة عامرة بالتقوى وفضائل الأعمال.

فقد حفلت الأمثال الشعبية على كثير من المواقف والخبرات التي يمكن أن تفيد الفرد والمجتمع، وزخرت بالحكم والمواعظ، فقد دعت الإنسان إلى فعل الخير ومن هذه الأمثال: **(اللّي يدير الخير يلقاه)، وقوله أيضا: (دِيرْ الخِيرْ ورْمِيهْ فْلَبْحَرْ)**

حث المثل الشعبي الإنسان على الكدّ والكدح ونبذ الكسل:**(اخْدَمْ بَاطَلْ، ولا تُقْعَدْ عَاطَلْ)**.

ودعا الفرد الشعبي إلى تجنب الكلام الجارح في قوله:**(كل شِي يَبْرًا يا هَبْبرة، وكْلاَمْ العَارْ مَا يَبْرَا)**.

وشجّعه على التعاون والتآزر في قوله:**(اللّي ما يْعَاوَنْ خُوهْ فِي الضِيقْ مَا يَلْقَى فِي الشَّدَة رْفِيقْ)**، و**(عَاوَنْ النْصَارَى، ولاَ قْعَادْ أَخْسَارَة)**، و**(اللّي ما يْعَاوَنْ خُوهْ فِي الضِيقْ مَا يَلْقَى فِي الشَّدة رْفِيقْ)**، **وقوله أيضا:(يدِ وَاحْدَة مَا تْصَفَقشْ**، ودعاه إلى طاعة الوالدين فقال: **(من طاعْ الوالدِينْ نالْ الدّنيا والدّين)**.

كما حضّه على ادّخار المال، ونهاه على تبذيره في قوله: **(الدِرْهم الابيضْ، يَنْفَعْ في اليُومْ الاَسْوَدْ)**.

ولم يكن المثل الشعبي هو الوحيد الذي أخذ على عاتقه مهمة تعليم النّاس وتقويمهم، بل شاركه في ذلك مختلف أشكال الأدب الشعبي كالحكاية، والنكتة، والسيرة، والأغنية ...إلخ.

ب. **الوظيفة الترفيهية:** الأدب الشعبي وسيلة مهمة من وسائل الترفيه عن النّفس من ضغوط الحياة اليومية، فقد ساعد هذا الأدب النّاس على قضاء أوقات فراغهم الطويلة في السماع إلى الحكايات الشعبية، والألغاز، والأمثال، والنكت...إلخ، فبث السّعادة والهناء في نفوسهم.

ج. **الوظيفة النفسية والعاطفية:** عُني الأدب الشعبي بتصوير حياة النّاس، والتعبير عن حالاتهم النفسية والعاطفية بكل صدق والأمانة، فقد تمكّن الفرد الشعبي من التعبير عن فرحه وبهجته بحدث الزواج والختان والولادة، وعن حزنه وألمه لفقد عزيز وإظهار الشوق إليه.

فقد بكى الشعراء دموعا غزارا لفقدهم آباءهم أو أبناءهم، وبناتهم وزوجاتهم، فعبّروا عن إحساسهم بالألم والضّعف أمام هذا الخطب الجلل، وكنموذج لهذا النوع من الشعر ننتقي هذا النموذج الذّي يقول فيه الشاعر عبد الغفار البوسعادي:[16]

آخُوتِي مَنْ ذَا الْخَبَرْ رَانِي جَنِّيْتْ	دَمَّرْنِي هَذَ الْخَبَرْ حِيْنْ أَصفَانِي
افْتَحْتْ الْجَوَابْ بالعَجْلَه واقْرِيتْ	دَمْعي مَطْرْ أغْزِيرْ حَمْلَتْ وِدْيَانِي

ومن هنا نستنتج مدى حزن الشاعر، وألمه لسماع خبر وفاة أبيه الذّي هزّ كيانه، وحوّل سعادته إلى تعاسة.

د. **الوظيفة الثقافية:** الأدب الشعبي وسيلة مُثلى للحفاظ على تراثنا الشفوي، وعلى التمسك بثقافة الأجداد الموروثة بكل ما تتضمنه من عادات وتقاليد، وأعراف اجتماعية، عن طريق نقلها من جيل لآخر، حتى لا تتعرض للموت والاندثار في زمن العولمة والتدجين الثقافي الغربي.

هـ. **الوظيفة القومية:** يساهم الأدب الشعبي في الحفاظ على تراث الأمة، وتمجيد أبطالها وبطولاتها.

. **المصادر والمراجع:**

1. بولنوار علي، الشعر الشعبي الجزائري(منطقة بوسعادة)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2010.

2.التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة(1830- 1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

3. زغب أحمد، الأدب الشعبي(الدرس والتطبيق)، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2008.

4. السّامرائي عامر رشيد، مباحث في الأدب الشعبي، وزارة الثقافة والإرشاد، العراق 1964.

5. سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1998.

6. سوكولوف يوري، الفولكلور، ترجمة حلمي الشعراوي، عبد الحميد حواس، راجعه وقدم له. عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971.

7. صالح أحمد رشدي، الأدب الشعبي، دار المعرفة، مصر، 1954.

8. صالح أحمد رشدي، الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، مكتبة الأسرة، مصر، 1999.
9.عيلان محمد، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، ج1، دار العلوم للنشر والتوزيع عنابة، 2013.
10. المرزوقي محمد، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، 1967.
11.مرسي علي أحمد، مقدمة في الفولكلور، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ج. م.ع، 1995.
12. يونس عبد الحميد، معجم الفولكلور(مع مسرد إنجليزي- عربي)
www. kotobarabia.com.

.